ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مقالة علمية بعنوان صفات العترة في تفسير روح المعاني

محمد جمال عبد

الأستاذ المساعد في جامعة قم

الدكتور محمد علي تجري

Ma.tajari@yahoo.com

ملخص

ينبري هذا البحث لتقصي الأبعاد المقامية والصفاتية للعترة النبوية الطاهرة في رحاب تفسير "روح المعاني" للعلامة الآلوسي، متوخياً منهجاً تحليلياً يستنطق النصوص التفسيرية لاستجلاء حقيقة التفوق الوجودي والمعرفي لأهل البيت عليهم السلام في منظور واحد من أبرز المفسرين المتأخرين. وينطلق الباحث من رؤية رصينة تزاوج بين المنزع العقدي للمفسر وبين إقراراته الصريحة بمركزية العترة في الخطاب القرآني، حيث يسعى لاستكشاف الصفات المخصوصة التي حصرت الفضل فيهم نتيجة وقائع تنزيلية فريدة، والصفات المشتركة التي يمثلون فيها "المصداق الأتم" والذروة الكمالية التي تُقاس عليها درجات الإيمان.ويعمد البحث في سياقه المعرفي إلى تأصيل مفهوم العترة لغوياً واصطلاحياً، مبيناً أنها تمثل "النصاب" والأصل الذي يقوم عليه امتداد الهداية النبوية والارتباط الوثيق بالكتاب العزيز، ليعبر من خلال ذلك إلى إثبات المرجعية العلمية واللدنية للعترة، لاسيما في تجلي صفة "علم الكتاب" والوعي اليقيني الذي لا يشوبه سهو ولا نسيان. كما يستعرض البحث بأسلوب نقدي استدلالي كيف أثبت الآلوسي تفرّد أمير المؤمنين عليه السلام بمقامات الفداء والزهد والصدق، معتبراً إياها مقامات اصطفائية صاغها الوحي الإلهي وليست مجرد فضائل أخلاقية عارضة، ومؤكداً على أن استجابة العترة للتكاليف الإلهية –كما في آية النجوى وليلة المبيت– قد بلغت شأواً لم يبلغه غيرهم.وتخلص الدراسة في تدفقها التحليلي إلى أن الحقيقة القرآنية للعترة الطاهرة قد فرضت نُورها على مختلف المدارس التفسيرية، مؤصلةً لتلازم المسار بين الوحي الصامت والوحي الناطق، حيث يجد "الكوثر" النبوي تحققه الواقعي في هذا النسل المبارك الذي ملأ الأرض علماً وبركة. وبذلك يقرر البحث أن مودة القربى والارتباط بمنهج العترة يمثلان ميزاناً أخروياً ومعرفياً تتفق عليه كلمة المحققين مهما تباعدت مشاربهم، لتظل صفاتهم هي المدار الذي تجتمع عليه آيات التطهير والإخلاص واليقين في محكم التنزيل.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً للمتقين، وجعل فيه من الآيات والبيّنات ما تهتدي به البصائر، والصلاة والسلام على خاتم الرسل، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى عترته الطاهرة الذين جُعلوا عِدلاً للكتاب، وربابنةً لسفينة النجاة، وبعد:إنَّ استنطاقَ التراثِ التفسيريّ بمناهجه المتعددة يُفضي بنا إلى حقيقةٍ معرفيةٍ راسخة، وهي أنَّ النصَّ القرآنيَّ لم يكن بمَعزلٍ عن حَمَلَتِهِ الأوصياء الذين جَسّدوا مَفاهيمَه في واقعِ الأمةِ حِساً ومعنى. ومن مِشكاةِ هذا الفهم، يبرزُ تفسير "روح المعاني" للعلامة السيد محمود الآلوسي كواحدٍ من أوسع المدونات التفسيرية التي حاولت الإحاطة بمرامي التنزيل، ورغم مشارب الآلوسي العقدية ومنزعه الخاص، إلا أنَّ أنوار فضائل العترة النبوية فرضت حضورها في ثنايا تفسيره، فجاءت اعترافاته شاهدةً على عظيمِ مَقامهم، ودليلاً على رسوخِ صِفاتهم في مَحكمِ الآيات.يَنْبري هذا البحث لتقصّي أثر العترة الطاهرة (عليهم السلام) في رِحاب "روح المعاني" متوخياً المنهج التحليلي في تتبع صِفاتهم التي تمايزت بين "مخصوصةٍ" نَزلت في شأنهم لتُخلّد تفرّدهم في ميادين الفداء، والعلم، والسخاء، وغيرها، وبين "مشتركةٍ" تَبَوَّأوا فيها مقام الذروة والمصداق الأتم. إنَّ الغاية المتوخاة من هذا الطرح ليست مجرد سردِ المناقب، بل هي محاولة لاستجلاء كمال النفس الإنسانية حين ترتقي في مدارج القرب الإلهي، وتصبح أُذُناً واعيةً للوحي، وصِدقاً مُجسداً في العهد، وكوثراً لا ينضب بَرَكةً وعطاءً.ومن هنا، فإننا نسعى في هذه الدراسة إلى إبراز تلك التجليات العلمية والدينية التي أثبتها الآلوسي، لنؤكد أنَّ مودة القربى وحقيقة صِفاتهم هي المدار الذي تجتمع عليه كلمة المفسرين مهما تباعدت مشاربهم، إقراراً بالفضل الذي لا يُجحد، والنور الذي لا يُطمس.ينطلق هذا البحث من تساؤل مركزي مفاده: ما

هي حدود التجلي العلمي والمقامي لصفات العترة الطاهرة في مدونة "روح المعاني" للآلوسي، وكيف استطاع المفسر المزاوجة بين نزعته العقدية وبين الإقرارات للآل في صفاتهم ومناقبهم؟ويتفرع عن هذا التساؤل الأسئلة الآتية:

١. ما هي الصفات التي اختص بها أفراد العترة (عليهم السلام) دون غيرهم في رؤية الآلوسي التفسيرية؟

٢. كيف عالج الآلوسي الآيات التي يشترك في فضلها عموم المؤمنين مع إبراز العترة كـ "مصداق أتم" لها؟

٣. إلى أي مدى تضافرت المرويات الحديثية (عند الفريقين) في تدعيم التوجه التفسيري للآلوسي حيال مناقب أهل البيت (عليهم السلام)؟

فرضيات البحث

تقوم هذه الدراسة على جملة من الفرضيات العلمية:

١. على الرغم من تحفظ الآلوسي المذهبي في مواضع شتى، إلا أن تفسيره ينطوي على اعترافات صريحة بتقدم العترة في مراتب الكمال الإنساني والاصطفاء الإلهي.

٢. أن الصفات المنسوبة للعترة في "روح المعاني" ليست مجرد أوصاف أخلاقية، بل هي "مقامات وجودية" مرتبطة بوقائع تنزيلية (كليلة المبيت، والإنفاق، والنجوى).

٣. يفترض البحث أن الآلوسي يرى في العترة، المحور الذي تدور حوله البركة النبوية المستمرة، كما في تأويله لـ "الكوثر" و"مرج البحرين".

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في أبعادٍ معرفية وعقدية ومنهجية، وهي:

– القيمة العلمية: تكمن في سبر أغوار واحد من أهم التفاسير المتأخرة (روح المعاني) واستخراج كنوزه المتعلقة بآل البيت، مما يُغني المكتبة الإسلامية بدراسة تحليلية لموضوع "الصفات" و"المناقب".

– التقريب المنهجي: تبرز الأهمية في إثبات أن فضائل العترة ومكانتهم هي مساحة التقاء كبرى بين المدارس الإسلامية؛ حيث يُقدّم البحث دليلاً من مدرسة "الجمهور" على علوّ كعب العترة وخصوصية صِفاتهم.

– التأصيل القرآني للمناقب: يسهم البحث في ربط السيرة التاريخية للعترة بالبناء القيمي للقرآن الكريم، وبيان أنهم "القرآن الناطق" الذي تجسدت فيه آيات الإيثار، والتطهير، والصدق، واليقين.

– تجلية المرجعية العلمية: تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على "الأهليّة العلمية" للعترة، لاسيما في صفتي "الوعي" و"علم الكتاب" مما يؤصل لدورهم كقرناء للكتاب العزيز لا يفترقون عنه.

تمهيدات

التمهيد الأول: في مفهوم العترة

العترة من الجذر اللغوي (عتر) وابن فارس في مقاييسه يؤسس دلالة هذا الجذر على أصول كلية جامعة، فيقول: "(عَتَرَ) الْعَيْنُ وَالتَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ"[١] وهو تقرير منهجي بالغ الأهمية؛ إذ يدل على أن الجذر ليس مضطربًا في استعمالاته، بل قائم على أصل لغوي ثابت تتفرع عنه دلالات منضبطة. وهذان المعنيان هما، كما نصّ عليه: "أَحَدُهُمَا الْأَصْلُ وَالنِّصَابُ، وَالْآخَرُ التَّقَرُّقُ"[٢] وهما في الظاهر متغايران، لكن السياق الاشتقاقي يبيّن أنهما متكاملان لا متناقضان.فعند الحديث عن المعنى الأول، يستحضر ابن فارس رأي الخليل بن أحمد، الذي يقرر أن "عِتْرَ كُلِّ شَيْءٍ: نِصَابُهُ" أي ما يقوم عليه الشيء ويستند إليه في وجوده ووظيفته. ويضرب لذلك مثالًا حسيًا دقيقًا بقوله: "وَعِتْرَةُ الْمِسْحَاةِ: خَشَبَتُهَا الَّتِي تُسَمَّى يَدَ الْمِسْحَاةِ"[٣] فالخشبة هنا ليست جزءًا زائدًا، بل هي الأصل الذي بدونه تفقد الأداة معناها العملي. ومن هذا المعنى المادي ينتقل الاستعمال إلى المجال الإنساني والاجتماعي، فيقال: «وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: عِتْرَةُ فُلَانٍ، أَيْ مَنْصِبُهُ»، أي موضع قيام أمره ومرتكز شأنه، ثم يتسع المعنى أكثر ليشمل الدائرة النسبية الأقرب، كما قال الخليل: "وَقَالَ أَيْضًا: هُمْ أَقْرِبَاؤُهُ، مِنْ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ وَبَنِي عَمِّهِ"[٤] وهو تحديد لا ينصرف إلى مطلق القرابة، بل إلى القرابة المتصلة بالأصل والممثلة لامتداد النسب.ثم ينتقل ابن فارس إلى المعنى الثاني للجذر، فيقول: "وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الْعِتْرُ"[٥] ويذكر أن قومًا قالوا: "هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْمَرْزَنْجُوشُ" وهو نبات يتميز بصفة دلالية لافتة، إذ "لَا يَنْبُتُ إِلَّا مُتَفَرِّقًا". وهذا التوصيف الطبيعي ليس عرضيًا، بل هو الأساس الذي تُبنى عليه الدلالة الاشتقاقية، حيث يُقاس عليه الاستعمال الإنساني، فيقول: "وَقِيَاسُ عِتْرَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهُمْ أَقْرِبَاؤُهُ مُتَفَرِّقِي الْأَنْسَابِ" أي إنهم يرجعون إلى أصل واحد، لكنهم يتوزعون في جهات النسب "هَذَا مِنْ أَبِيهِ وَهَذَا مِنْ نَسْلِهِ كَوَلَدِهِ".ومن خلال هذا العرض يتضح أن ابن فارس لا يقدم تعريفًا لغويًا بسيطًا، بل يؤسس مفهومًا مركبًا للعِترة، قوامه الجمع بين الأصالة والتشعب؛ فالعترة من حيث الحقيقة اللغوية هي الامتداد المتفرع

عن أصل ثابت، لا ينفصل عنه في المعنى، ولا يذوب في عموم القرابة. وبذلك تلتقي دلالة "الأصل والنصاب" مع دلالة "التفرق"[٦] في بنية واحدة متماسكة، تجعل لفظ العترة دالًا على جماعة يجمعها أصل واحد، وإن تفرقت فروعها، وهو من أدقّ ما يميز الاشتقاق العربي في قدرته على احتواء المعاني المركبة في لفظ واحد جامع.والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما"[٧].إذا نُظر إلى حديث الثقلين في ضوء المعنى الاصطلاحي لمفهوم «العترة»، كما تكشف عنه الدراسة اللغوية للجذر (عتر)، تبيّن أن استعمال هذا اللفظ في النص النبوي استعمال دقيق ومقصود، لا يُراد به مجرد القرابة النسبية، ولا الإشارة إلى دائرة اجتماعية عامة، بل إلى مفهوم ذي حمولة معرفية ووظيفية محددة. فالعترة، بحسب أصلها اللغوي، تدل على الأصل والنصاب الذي يقوم عليه الامتداد، مع كونها في الوقت نفسه جماعة متفرقة في الأنساب، يجمعها أصل واحد وتضبطها وحدة مرجعية.وبناءً على هذا المعنى، فإن قوله (ص): «وعترتي أهل بيتي» لا يمكن فهمه على أنه توصيف عاطفي أو اجتماعي، بل هو تحديد لموقع معيّن في بنية الهداية بعد النبي، يتمثل في جماعة تمثل الامتداد الحي للرسالة من حيث الفهم والتطبيق، لا من حيث النسب المجرد. فالعترة بهذا الاعتبار هي «النصاب» الذي تُقاس به سلامة الفهم الديني، كما يُقاس الشيء بأصله الذي يقوم عليه.ويزداد هذا المعنى وضوحًا من خلال اقتران العترة بالكتاب في سياق واحد، حيث وصف النبي (ص) القرآن بأنه «حبل ممدود من السماء إلى الأرض»، وهو توصيف يشير إلى ثبات المصدر وعُلويّته، في مقابل العترة التي تمثل الامتداد الإنساني التاريخي لهذا المصدر. فالقرآن نص ثابت، بينما تمثل العترة الحضور التطبيقي لهذا النص في الواقع البشري المتغير. ومن هنا فإن تقرير النبي (ص) بعدم افتراق الكتاب والعترة "حتى يردا علَيّ الحوض" ليس مجرد بيان للملازمة الزمنية، بل تأكيد لوحدة الوظيفة والغاية، وأن الهداية لا تتحقق بأحدهما دون الآخر.أما دلالة التفرّق التي يحملها الجذر اللغوي لـ«العترة»، فلا تعني التشتت أو الانفصال، بل تشير إلى الامتداد عبر الأنساب والأزمنة مع بقاء الارتباط بالأصل. وبهذا المعنى، فإن العترة ليست محصورة في فرد أو زمن معين، بل هي مسار ممتد يجمع بين وحدة المرجع وتعدد الظهور، وهو ما ينسجم مع فكرة الاستمرارية في الهداية بعد انقطاع الوحي.وعلى هذا الأساس، فإن قوله (ص): "فانظروا كيف تخلفوني فيهم" يتجاوز البعد الأخلاقي أو الوجداني، ليؤسس لمسؤولية معرفية ومنهجية، تتعلق بكيفية التعامل مع هذا الامتداد المرجعي بعد النبي. فالإخلال بموقع العترة، بمعناها الاصطلاحي المستند إلى أصلها اللغوي، يعني الإخلال بالنصاب الذي يحفظ الفهم الصحيح للنص القرآني، كما أن التمسك بالنص بمعزل عن امتداده الإنساني يؤدي إلى تجريد المعنى من آليته التفسيرية الحيّة.وعليه، فإن حديث الثقلين يؤسس تصورًا متكاملًا للهداية في الإسلام، يقوم على اقتران النص بالمرجع، والثبات بالتحقق التاريخي، والمطلق بالتنزيل العملي. وليس الحديث بذلك توصية أخلاقية مجردة، بل بيانٌ لمنظومة معرفية دقيقة، اختيرت ألفاظها بعناية لغوية، وكان مصطلح «العترة» فيها عنصرًا محوريًا في ضبط العلاقة بين الوحي وفهمه عبر الزمن.

التمهيد الثاني: في التعريف بالآلوسي ومنهجه في التفسير

أولاً: التعريف بالآلوسي

أ. الاسم والنسب

هو شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي. يتصل نسبه من جهة الأب بالحسين بن علي رضي الله عنهما، ومن جهة الأم بالحسن بن علي رضي الله عنهما. وتعود تسميته بالآلوسي نسبةً إلى بلدة "آلوس" الواقعة على ضفاف نهر الفرات[٨].

ب.المولد

وُلد في مدينة بغداد في منتصف شهر شعبان عام ١٢١٧هـ[٩].

ت. التكوين والمكانة العلمية

تولى الآلوسي منصب الفتوى والمشيخة العلمية في العراق، وعُرف بالتبحر في العلوم النقلية والعقلية؛ لا سيما في علوم التفسير والحديث وأصول الفقه والفروع. اتسم مساره العلمي بالانقطاع التام للاشتغال بالبحث والتأليف، وتفضيل التحصيل المعرفي على الشواغل الأخرى، وله في تقييد العلم وإحياء ليله بالنظر والمطالعة آثار مدونة تعكس منهجه في طلب العلم[١٠].

ث. المنزع العقدي

تتسم الرؤية العقدية عند الآلوسي بالتعددية وعدم الانحصار في قالبٍ مذهبيٍّ واحد؛ إذ تداخلت في نتاجه ملامح من مدرسة السلف، والتفويض، والمنهج الأشعري، والنزعة الصوفية. ومع هذا التباين، يميل التحقيق العلمي إلى اعتبار "المنهج السلفي" هو الغالب على طرحه العام والأقرب إلى خياراته النهائية.

ويبرز هذا التوجّه في تعاطيه مع "الصفات الإلهية" حيث يذهب إلى ما ذهب إليه أوائل السلفية بإثبات هذه الصفات. وقد توّج هذا المنهج بوحيٍ من قناعته الشخصية في وصيته لأبنائه، التي نصّ فيها على لزوم مذهب السلف في الاعتقاد، واصفاً إياه بأنه المسلك الأحكم والأبعد عن الخوض فيما لا يحيط به عِلم البشر[١١].

ج. المنهج الفقهي والإنتاج العلمي

١. المسلك الفقهي:

تدرّج الآلوسي في مدارج الفقه مبتدئاً بالشافعية التي نشأ عليها، ثم انتقل إلى التزام المذهب الحنفي إبّان توليه منصب الإفتاء، مراعاةً للسياق الرسمي والعملي آنذاك. ومع تقدمه في التجربة العلمية، أخذ يميل نحو الاجتهاد وعدم التقيّد بالتقليد؛ حيث كان يقرر لزوم اتباع الدليل عند ظهوره، معتبراً أن العالِم المحيط بمدارك الأحكام لا يُعذر بالتقليد الصرف إذا استبان له برهانٌ يخالفه[١٢].

٢. الآثار والمؤلفات:

ترك الآلوسي نتاجاً معرفياً غزيراً شمل فنوناً شتى، ومن أبرز مؤلفاته[١٣]:

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: وهو أثرُه الجامع الذي صاغه في قالب موسوعي يتناول علوم التنزيل بشمولية.

– النفحات القدسية في الرد على الإمامية، والأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية: مصنفان في السجال العقدي والمذهبي.

– نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، وغرائب الاغتراب: مؤلفات في أدب الرحلات وتسجيل مشاهداته في الأستانة وغيرها.

– دقائق التفسير، وحاشية قطر الندى، والمقامات الآلوسية، ورسالة في الجهاد: كتب ورسائل تنوعت بين علوم اللغة، والبيان، والفقه العملي.

ح. وفاته

انقضى أجلُ الآلوسي في الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام لعام ١٢٧٠هـ، حيث وافته المنية عن عمرٍ ناهز ثلاثاً وخمسين سنة[١٤].

ثانياً: التعريف بتفسير "روح المعاني"

أ. بواعث التأليف

يُعزي الآلوسي الشروع في تدوين تفسيره إلى رؤيةٍ رآها في شهر رجب من عام ١٢٥٢هـ، تمثلت في رمزية طيّ السماوات والأرض؛ وبعد التماس تأويلها في المصنفات، استقر لديه أنها إشارةٌ إلى التصنيف في علم التفسير[١٥].

ب.سبب تسمية الكتاب

يشير التأريخ العلمي لهذا المصنف إلى أنَّ الآلوسي لم يضع له اسماً محدداً فور الفراغ منه، بل بقي في حيرةٍ من أمره حتى عرض الموضوع على الوزير "علي رضا باشا" فكان هو من اقترح عليه هذه التسمية: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، فاعتمدها المصنف ووسم بها كتابه[١٦].

ت.منهجه في التفسير

يُصنف "روح المعاني" بوصفه أثراً جامعاً استوعب فيه مؤلفه نتاج المدارس التفسيرية السابقة، مزاوجاً فيه بين طريقتي الرواية والدراية. وقد اعتمد الآلوسي في بناء مادته العلمية على أمهات التفاسير؛ كابن عطية، وأبي حيان، والزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود، والفخر الرازي؛ مصطلحاً على تسمية الأخيرين بـ "شيخ الإسلام" و"القاضي" و"الإمام". ولم يقتصر منهج المصنف على النقل المحض، بل اتخذ دور الناقد والمحلل للأقوال؛ إذ باشر مراجعة الآراء المنقولة وتعقبها، مبدياً وجهة نظره المستقلة في كثير من المواضع. ويظهر ذلك جلياً في تعقباته للفخر الرازي، لا سيما في المسائل الفقهية التي انتصر فيها للمذهب الحنفي، مع ميله إلى ترجيح ما يستصوبه من أدلةٍ وفق محددات النظر العلمي لديه[١٧].

يُصنَّف تفسير الآلوسي كموسوعةً علمية نظراً لشموليته واستقصائه في فروع المعرفة المختلفة؛ إذ عَمَد المؤلف إلى حشدِ جُلِّ أقوال المفسرين السابقين وتلخيص آرائهم. وتبرز سمة "النقد الحر" في منهجه من خلال إخضاع المنقولات للترجيح والموازنة العلمية. ورغم ميله إلى الاستطراد والإطالة في المباحث الجانبية التي قد تخرج أحياناً عن السياق التفسيري المحض، إلا أنَّ طرحه ظلَّ متسماً بالاتزان والموضوعية، مما يعكس سعة اطّلاعه وإحاطته بالعلوم العقلية والنقلية التي ضمّنها في تضاعيف كتابه[١٨].والمتأمّل في كتابه روح المعاني يلاحظ أن آلية التفسير عند الآلوسي تتّسم بالشمولية والموسوعية؛ حيث يدمج في طرحه بين الأبعاد اللغوية والنحوية والبلاغية، وبين المباحث المتعلقة بأسباب النزول والقراءات. كما يتطرق إلى المسائل الفقهية والظواهر الكونية، متبعاً أسلوباً نقدياً يقوم على عرض الأقوال المختلفة والموازنة بينها، ثم ترجيح ما يستقيم مع الدليل أو تفنيد ما يراه مرجوحاً. ويعتمد المصنف في مفتتح كل سورة مساراً علمياً منظماً؛ يبدؤه بتحديد موطن النزول (مكي أو مدني)، واستقصاء الأسماء الواردة

للسورة، مع رصد ما صح في فضائلها. كما يعنى ببيان المناسبات الرابطة بين السور والآيات، وتلخيص المقاصد والموضوعات الرئيسة التي تنطوي عليها السورة.

المبحث الأول: الصِفات المخصوصة بالعترة (عليهم السلام)

تضافرت في مدونات الآلوسي إقرارات جليّة تُنبئ عن سموٍ صفات العترة (عليهم السلام) وعلوّ شأنهم، حيث نكرّس هذا المطلب لاستعراض أمهات تلك الشهادات وأجلاها مِحوريّة:

آية ليلة المبيت وتجلّي صفات العترة

أورد الآلوسي في بيانه لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة/٢٠٧) أنَّ مذهب الإمامية وطائفة من علماء وبعض من علماء أهل السنّة قد استقر على أنَّ هذه الآية المباركة نزلت في شأن الإمام عليّ (ع) إبّان تضحيته الكبرى بمبيته في فراش رسول الله (ص) عند انطلاقه إلى الغار في مستهل الهجرة إلى المدينة[١٩].وقد تضافرت الروايات لدى الفريقين على أنَّ الآية نزلت في عليّ (ع) الذي جسّد أسمى صفات البذْل والعطاءحين جعل نفسه وقاءً للنبي (ص) طلباً لمرضاة الحق سبحانه[٢٠].وفي هذا الصدد، ينقل ابن أبي الحديد إجماع المفسرين قاطبةً على أنَّ هذه الآية قد حفتها رعاية التنزيل بخصوص عليّ بن أبي طالب (ع) وفدائه ليلة المبيت[٢١].ومن الآيات الأخرى التي تلامس مآثر العترة في واقعة ليلة المبيت، قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٢٢]. حيث استهل الآلوسي تفسيره لهذه الآية باستعراض تفاصيل مؤامرة كفار قريش ومشاروتهم لإراقة دم النبي (ص)، وينقل الآلوسي تفاصيل المكيدة التي دبرها المشركون، مشيراً إلى تمثّل إبليس في هيئة شيخ نجدي ومقترحه الآثم بافتعال قتل النبي (ص) وهو ما أجمع عليه ملأ الكفر؛ ثم يُردِف قائلاً: "أتى جبريل (عليه السلام) إلى رسول الله (ص) محذراً إياه من المبيت في مضجعه الذي اعتاد النوم فيه تلك الليلة. ومع جنوح الليل، احتشد الكفار حول الدار متربصين به (ص) للانقضاض عليه لحظة نومه، فلما أبصر النبي (ص) مكيدتهم، وجّه خطابه إلى عليّ (عليه السلام) آمراً إياه بالاضطجاع في فراشه والتلفّع ببرده الحضرمي الأخضر– وهو البرد الذي كان يلبسه (ص) عند نومه– مطمئناً إياه بأنه لن يخلص إليه من مكرهم شيء يسوؤه. وفي تلك اللحظة التاريخية، أُذن للنبي (ص) بالهجرة، فانطلق بصحبة أبي بكر صوب الغار، بينما كان عليّ (عليه السلام) يجسد أسمى صفات الفداء والتضحية، مسطراً بلسان الشكر على المنة الإلهية هذه الأبيات:

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى *** وَمَنْ طَافَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ وَبِالحِجْرِ
رَسُولَ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ *** فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الإِلَهِ مِنَ المَكْرِ
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الغَارِ آمِناً *** وَقَدْ صَارَ فِي حِفظِ الإِلَهِ وَفِي سِتْرِ
وَبِتُّ أُرَاعِيهِمْ وَمَا يَتَهِمُونَنِي *** وَقَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى القَتْلِ وَالأَسْرِ[٢٣]

آية الإنفاق وتجلي صفات العترة في السخاء

أورد الآلوسي في معرض بيانه لشأن نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٤] أنَّ ثمة تبايناً في الآراء حول مورد نزولها؛ حيث نقل عبد الرزاق وابن منذر عن ابن عباس أنَّ الآية حفّت برعايتها عليَّ بن أبي طالب (ع) إذ كان يمتلك أربعة دراهم، فبادر إلى إنفاقها في سبيل الله على وجوهٍ أربعة: درهمٌ بالليل، وآخر بالنهار، وثالثٌ في السر، ورابعٌ في العلن. وفي المأثور أنَّ النبي (ص) سأله: "ما حملك على هذا؟" قال: "حملني أن استوجب على الله تعالى الذي وعدني" فقال له رسول الله (ص): "ألا إنّ ذلك لك"[٢٥].وجديرٌ بالذكر أنَّ هذه الواقعة التي تعكس أسمى صفات عليّ عليه السلام في الجود، وقد وردت في مصادر الجمهور بمتون متقاربة؛ فقد رواها الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس[٢٦]، كما أوردها المحب الطبري بسنده عن ابن عباس أيضاً أنها نزلت في علي عليه السلام[٢٧].أما الزمخشري، فقد استعرض في مسببات نزول هذه الآية وجهتين بلفظ "قيل" إذ أوعز في إحداهما شأن النزول إلى أبي بكر، بينما قصر في الأخرى وصف الإنفاق على عليّ (عليه السلام)؛ حيث ورد في المأثور أنَّ علياً (عليه السلام) لم يكن يملك سوى أربعة دراهم، فبادر إلى بذلها طُرّاً في سبيل الحق بخلوصٍ تامّ وتنزهٍ عن الرياء[٢٨]. ومن هنا يبرز الفارق الشاسع والبون البعيد بين مَن جاد بجميع ما يملك تبتلاً لله، وبين مَن آثر البذل الجزئي.في ظلال قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢٩].أورد الآلوسي في مطلع بيانه لهذه الآية ما نقله أبو يعلى بسنده عن جابر، في واقعةٍ تبرز تجليات الرعاية الربانية وأسمى صفات العترة (عليهم السلام). ومفادها أنَّ رسول الله (ص) قد ألمَّ به الجوع أياماً، فطاف في حجرات أزواجه فلم يجد ما يقتات به، فقصَد بيت بضعته فاطمة (عليها السلام) مستفهماً عمّا عندها، فأعلمته بخلوّ البيت من الطعام، وبعد انصرافه (ص) أهدى أحد الجيران إليها رغيفين وقِطعة من لحم، فآثرت النبي (ص) بالزاد على نفسها وأهل بيتها رغماً عما نزل بهم من شدة الجوع، محققةً بذلك صفة الإيثار التي هي

من أخصّ صفات العترة. فبعثت في أثر النبي (ص) لتدعوه، فلما عاد وأحضرت الوعاء، إذ به قد امتلأ ببركةٍ إلهية خبزاً ولحماً، فاستشعرت الزهراء (عليها السلام) عظمة المنّة وحمدت الله، ولما سألها النبي (ص) عن مصدر هذا الرزق، تلت قوله تعالى: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. حينئذٍ استدعى رسول الله (ص) علياً والحسن والحسين وسائر العترة (عليهم السلام) فأكلوا حتى شبعوا جميعاً، وظلّ الطعام ببركته لم ينقص منه شيء، فبادرت الزهراء (عليها السلام) بتوزيعه على الجيران إتماماً لمكارم الأخلاق[٣٠].

آية سقاية الحاج وموازين التفاضل في صفات العترة

في سياق استجلاء الأبعاد التفسيرية لقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣١]. (التوبة/١٩)، يقرر الآلوسي- بناءً على تضافر الروايات- أنَّ هذه الآية المباركة قد حُفَّت بذكر عليّ (عليه السلام) والعباس. ومردُّ ذلك إلى حوارٍ جرى بينهما، حيث حثَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) عمَّه على الهجرة إلى المدينة، فما كان من العباس إلا أن اعتبر قيامه بسقاية الحجيج وعمارة البيت الحرام منزلةً تضاهي الهجرة أو تفوقها، فاستدعى الحال نزول الوحي لبيان مراتب الكمال.

ويذهب الآلوسي إلى أنَّ ظاهر النص يرجّح إسلام العباس في ذلك الحين، بيد أنَّ الآية جاءت لترسي ميزان العدل الإلهي في نفي المساواة بين مَن حاز قصب السبق في الإيمان والجهاد، وبين من اقتصر عمله على السقاية والعمارة. وقد استنبط من السياق أنَّ الفئة التي مثّلها عليّ (عليه السلام) تتبوأ الدرجة الأسمى والمقام الأرفع عند الحقّ سبحانه؛ مع الإشارة إلى أنَّ الفئة الأولى لم تُحرم بالكلية من مطلق صفات الخير، استدلالاً بصيغة "أفعل" التفضيل الواردة في الآية اللاحقة، والتي تقتضي الاشتراك في أصل الفضل مع تفاوت المراتب[٣٢].وتعضيداً للمسلك التفسيري الذي ذهب إليه الآلوسي، يُلفى في تفسير الثعلبي ما يؤيد هذا المنزع؛ حيث نقل عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي تضافر الروايات على أنَّ مورد نزول هذه الآية إنما كان في حق عليّ (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب وشيبة بن طلحة، وذلك تبياناً لتمايز المراتب وتجليةً لما يختص به أمير المؤمنين من صفات السبق والجهاد[٣٣].وفي مَعرِض بيانه لقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣٤] صدَّر الآلوسيُّ تفسيرَه بنقلِ أثرٍ مرويٍّ عن عليّ (عليه السلام) يرفعه إلى مقام النبوة، حيث بيَّن النبيُّ (ص) أنَّ مصداق هذه الآية يتجسد فيمن أخلص الودَّ لله ولرسوله وللعترة الطاهرة، وتولَّى المؤمنين قاطبةً، شاهدَهم وغائبَهم. ويستطرد الآلوسيُّ موضحاً أنَّ الغرض من هذا الحديث ليس حصرَ معنى "ذكر الله" في المحبة فحسب، بل الإشارة إلى أنَّ المتصفين بتلك الخصائص هم المستأثِرون بمحبة الله ورسوله. ويقرر أنَّ هذه الملازمة واقعةٌ لا محالة؛ إذ لا يتصور انفصامُ العُروة بين هذه الصفات- من طمأنينة القلب وموالاة الله ورسوله والعترة- فهي منظومةٌ إيمانية متكاملة الأركان لا يتطرق إليها الشتات[٣٥].وفي رحاب قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٣٦]. أورد الآلوسي في بيانه لهذه الآية ما نقله صاحب "البحر المحيط" عن محمد بن الحنفية والإمام الباقر (عليه السلام) من أنَّ المقصود بـ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) مبيناً أنَّ "الكتاب" في هذا المقام هو القرآن الكريم. وقد أردف الآلوسي مُقراً بعلو كعب أمير المؤمنين في هذا الميدان بقوله: "ولعمري إنَّ علم الكتاب (القرآن) كُلَّه على وجه التمام والكمال ثابتٌ لديه؛ وإن كان الظاهر في رأيي أنَّ المراد بالآية غيره"[٣٧].

وفي السياق ذاته، استقصى الحنفي القندوزي في مروياته عدداً وافراً من الأخبار التي تحصر هذا الوصف العلمي في شخص عليّ (عليه السلام) باعتباره أحد أبرز مصاديق الرسوخ الإيماني. ومن ذلك ما رواه عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري (رض) أنه سأل النبي (ص) عن قوله تعالى في قصة سليمان: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ فأجابه (ص) بأنه وزير أخيه سليمان؛ فلما سأله عن قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال (ص): "ذاك أخي عليّ بن أبي طالب". وقد تضافرت الروايات عند القندوزي وغيره في تأكيد أنَّ حيازة علم الكتاب هي من أبرز صفات أمير المؤمنين (عليه السلام)[٣٨].

في رحاب المنهج النبوي وتجلي صفات العترة في الصلاة

استفاض الآلوسي في بحث المصاديق الواقعية لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٣٩] منتهياً إلى أنَّ مفهوم "الأهل" في هذا السياق ينصرف إلى العترة الطاهرة المشمولة بنص آية التطهير. وقد عضد هذا المنزع بما رواه ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري، من أنَّ النبي (ص)- عَقيب نزول هذه الآية- واظب لمدة ثمانية أشهر على المجيء إلى باب عليّ (عليه السلام) عند كل فجر، منادياً بالصلاة وداعياً لهم بالرحمة والتطهير[٤٠].وعلى الرغم من تعقيب الآلوسي بإبداء نوع من التحفظ الحذر تجاه هذا الأثر، إلا أنَّ شواهد النقل تؤكد حضوره في المسانيد.وجديرٌ بالذكر أنَّ هذه الواقعة قد استفاضت بها طرق النقل وتواترت في أصول الحديث لدى المسلمين كافة، وهي تُجمع بصريح العبارة على أنَّ البيوت المقصودة بهذا التكليف والتشريف الإلهي إنما هي بيوت عليّ وفاطمة (عليهما السلام) مما يبرز أسمى صفات المداومة على العبادة والامتثال لأمر الله في كنف النبوة.وفي رحاب قوله سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٤١] يستعرض الآلوسي جملة من الأقوال في بيان مصاديق هذه الآية، مورداً ما ذكره الطبرسي في "مجمع البيان" نقلاً عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) حيث قرر أنَّ آية الصدق في العهد قد نزلت في شأن العترة الطاهرة، قائلاً: "وأنا واللهِ المنتظر"[٤٢].ويُستشفُّ من هذا الوصف– أي الانتظار المقترن بالرغبة الصادقة– شهادةٌ جليّة على بلوغ الإمام ذروة الاشتياق لنيل مقام الشهادة في سبيل الله، وهو ما يعدّ من أسمى صفات العترة في اليقين والثبات. إنَّ هذا الوجد والترقب للقاء الله يُعدّ دليلاً ساطعاً على اكتمال صفات الإخلاص التي لا يداخلها تبديل ولا يعتريها وهن.تجلّيات صفة التصديق في أمير المؤمنين عليه الله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٤٣].يورد الآلوسي في سياق تفسيره لهذه الآية ما نقله ابن عساكر عن سيد بن صفوان– من أصحاب عليّ (عليه السلام)– وكذا عن أبي الأسود ومجاهد في إحدى رواياته، فضلاً عما نُقل عن جمعٍ من العترة الطاهرة وغيرهم؛ بأنَّ المصداق الجليَّ لقوله سبحانه ﴿وَالَّذِي صَدَّقَ بِهِ﴾ هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). ويستند هذا المنزع التفسيري إلى حيثية تاريخية وعقدية مفادها أنَّه (عليه السلام) كان أول من آمن وصدَّق برسالة النبي (ص) فكان سبقه للإيمان من أجلى صفاته التي تفرّد بها[٤٤].وجديرٌ بالذكر أنَّ انطباق وصف ﴿الذي صدَّق به﴾ على شخص أمير المؤمنين (عليه السلام) قد استفاضت بذكره المصادر الحديثية والتفسيرية الأخرى، مما يؤكد رسوخ هذه الحقيقة في تراث المسلمين وتوافقها مع موازين الموثوقية العلمية[٤٥] وفي مَعرضِ بيانه لإشاراتِ قولهِ سبحانه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٤٦] استعرض الآلوسيُّ مَنزَعاً تأويلياً لطيفاً نقله ابنُ مَردويه عن ابنِ عباسٍ، مَفادُهُ أنَّ البحرينِ الملتقيينِ هما عليّ وفاطمةُ (عليهما السلام) وبينهما برزخٌ حائلٌ وهو النبيُّ (ص) ويخرجُ منهما اللؤلؤُ والمرجانُ وهما السبطانِ الحسنُ والحسينُ (عليهما السلام). وقد عَضَّد الآلوسيُّ هذا التوجه بنقلِ آثارٍ مشابهةٍ عن أنس بن مالك[٤٧]، ورغمَ تصنيفِ الآلوسي لهذا المسلكِ ضمنَ "التأويلِ الباطني"– على غِرارِ إشاراتِ العرفاء– إلا أنَّه أثنى ثناءً بليغاً على مَقامِهم القدسيّ، مُعتبراً أنَّ كُلّاً من عليّ وفاطمةَ (ع) يَفوقانِ المحيطاتِ سَعةً في العلمِ والصفات، وأنَّ الحسنينِ أشدُّ ضياءً ونورانيةً من الجواهرِ بمراتبَ لا يحيطُ بها الحساب.إنَّ هذا النمطَ من التفسير الذي ينفذُ إلى باطنِ الآياتِ، قد تضافرت على ذكرِهِ المصادرُ التفسيرية والحديثية لدى الفريقين، وهو يُشيرُ بوضوحٍ إلى تجلّي مَكانةِ العترة الطاهرة (أصحاب الكساء) في محكمِ التنزيل، وقد وردت هذه المضامينُ بطرقٍ شتى عن أئمةِ العترة وغيرهم من الرواة. وتضافرت المصادرُ الإسلامية والمسانيدُ الحديثية على إثبات هذا الخبر الذي يُجلّي أسمى صفات العترة الطاهرة، حيث ورد ذكرُه في أمهات الكتب التفسيرية والروائية لدى الفريقين، ومن تلك المصادر: كشف الغمة في معرفة الأئمة[٤٨]، والدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم[٤٩] وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)[٥٠] وتفسير الصافي[٥١] وحلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام)[٥٢] وتفسير نور الثقلين[٥٣]. وغيرها من المصادر الكثيرة ولا مجال لذكرها جميعاً.

في رحاب قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٥٤].

استعرض الآلوسي الآراء الواردة في تعيين مصداق "السابقين"، مبيناً أنَّهم الذين سارعوا إلى مضمار الإيمان والطاعة فور انجلاب الحق من غير ثوانٍ ولا تقصير، وهو ما نُقل عن عكرمة ومقاتل. وقد أورد الآلوسي ما رواه ابن مردويه عن ابن عباس، من أنَّ هذه الآية المباركة نزلت في شأن حزقيل (مؤمن آل فرعون)، وحبيب النجار (المذكور في سورة يس) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ حيث سَبَقَ كلُّ واحد منهم أُمَّته إلى الإيمان، بَيْدَ أنَّ علياً (عليه السلام) هو أفضلهم مقاماً وأرفعهم رتبة[٥٥].إنَّ هذا السبق في ميادين اليقين يُعدّ من أَجَلِّ صفات العترة التي تفرَّدوا بها في تاريخ الرسالات، وقد تضافرت المصادر التفسيرية والحديثية على تأكيد هذا المعنى، مما يرسخ اقتران مفهوم السبق الإيماني بهذه الذوات المقدسة.

تجلّيات الإخلاص في آية النجوى

يُمثل نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ...﴾[٥٦] مِحكاً إلهياً واختباراً دقيقاً لصدق المحبة في قلوب الصحابة تجاه مقام النبوة؛ إذ أوجب الحقُّ سبحانه تقديم الصدقة شرطاً للمناجاة الخاصة. ومن اللافت في موازين التحقيق التاريخي والروائي، أنَّ هذا التكليف لم يجد له مصداقاً عملياً ممتثلاً إلا في شخص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).يورد الآلوسي ما أخرجه الترمذي في جامعه، وجماعة من أرباب الحديث عن عليّ (عليه السلام) في حوارٍ جرى بينه وبين النبي (ص) لتحديد مقدار تلك الصدقة رفقاً بالأمة، حيث انتهى الأمر إلى "وزن شعيرة من ذهب" وهو ما حدا بالنبي (ص) لوصفه بالزهد البالغ. ومع صدور التخفيف الإلهي في الآية اللاحقة، بقي الإمام عليّ (ع) منفرداً بفضيلة العمل بهذا الحكم، كما نقل الحاكم وابن المنذر وغيرهما قوله المشهور: "آيةٌ في كتاب الله لم يعمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي"[٥٧].وهذا يبرز أسمى صفة المسارعة إلى طاعة الله والقرب من رسوله بذلاً وإخلاصاً. إنَّ هذا التفرد في العمل بالآية يُعدّ من الخصائص الثابتة التي تُجلّي صفات اليقين والزهد لدى الإمام علي عليه السلام.

تجلّي مَقام "صالح المؤمنين" في مناقب الأمير

في رحاب قوله سبحانه: ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٥٨]. يورد الآلوسي جملةً من الآثار التفسيرية التي تُعيّن مِصداق "صالح المؤمنين" مشيراً إلى ما نقله ابن مَردويه وابن عساكر عن ابن عباس، وما رُوي عن أسماء بنت عُميس في تصريح رسول الله (ص) بأنَّ المعنيَّ بهذا الوصف هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). كما عَضَّد هذا التوجّه بما ورد عن إمام الهدى أبي جعفر الباقر (ع) من أنَّ النبي (ص) أخذ بيد عليّ (ع) عَقيب نزول الآية مُعلناً: "يا أيها الناس، هذا صالح المؤمنين"[٥٩].ومن منظورٍ تحليليّ، يربط صاحب "روح البيان" بين هذا المَقام وبين "حديث المنزلة" الشهير (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) مُستدلاً بالاستخدام القرآني لمصطلح "الصالحين" الذي جُعل سِمةً للأنبياء، كقوله تعالى ﴿وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾[٦٠] وقوله على لسان يوسف (ع) ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٦١].[٦٢] فبمقتضى حيازة أمير المؤمنين (ع) لمنزلة هارون، فإنه يغدو المصداق الأتم لهذا الوصف القدسيّ. إنَّ هذا الاقتران الوثيق بين الإيمان والصلاح يُمثل جوهر صفات العترة التي تجلّت في هذه الآية المباركة كظهيرٍ ومولى في مسار الحق.

تجلياتُ الوعيِ المعرفيّ في صفاتِ العِترةِ: قراءةٌ في آيةِ "الأُذُن الواعية"

يَستعرضُ الآلوسيُّ في مَباحثِهِ التفسيريةِ مَقاماً مَرموقاً يَتصلُ بجوهرِ الإدراكِ اليقينيّ لدى العترةِ الطاهرة، حيثُ يَنقلُ رِوايةً مَفادُها أنَّ النبيَّ (ص) ابتهلَ إلى بارئِهِ بأنْ يَجعلَ أُذنَ عليّ (عليه السلام) هي "الأُذنَ الواعية" المقصودة في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٦٣]. وقد تَجلّت هذهِ الإستجابةُ الربانيةُ في نَفْسِ الإمامِ (ع) الذي صرَّحَ مؤكداً: "ما سَمِعتُ شيئاً قط فنَسيتُه" فغدت أُذنُهُ هي المِصداقُ الأتمُّ للوعيِ الذي لا يَعزُبُ عنه فَهْمٌ ولا يَغيبُ عنه عِلمٌ[٦٤]. (الآلوسي، ١٤١٥ق: ٢٨/٤٣).إنَّ هذا التفرُّدَ في الوعيِ والإستيعابِ يُعدُّ من أبرزِ صفاتِ التلقّي الإلهيّ التي اختُصَّت بها العترةُ النبوية، وقد استفاضت مَصادرُ الجمهورِ في نَقْلِ هذا المِصداقِ الجليّ، مما يُرسخُ المَكانةَ العلميةَ واللّدنيةَ لأركانِ العترةِ في التراثِ التفسيري.

المبحث الثاني: الصِّفات المشتركة

يتناول هذا القسم الآياتِ التي قد يَشتركُ في مَضمونها وآفاقِها وصْفُ الآخرين، إلا أنَّ ثَمّةَ ركيزةً تحليليةً لا بدَّ من استحضارها؛ وهي أنَّ ذواتِ العترة الطاهرة– أو أياً من رموزِها المقدسة– حين يُشارُ إليهم كمصداقٍ لهذه الآيات، فإنهم بلا ريب يُمثلون "المصداق الأتم والأكمل" لها.ومثالهُ قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً...﴾[٦٥] فبالرغم من أنَّ انطباقَ الآيةِ مُمكِنٌ في حقّ غيرهم، إلا أنَّ تخصيصَها بعليّ (عليه السلام) يأتي من باب "الجري" وتثبيتِ الصفة الأخصّ به؛ ذلك أنَّه لو وُجدَ مَنْ يبلغُ شأْوَه في هذا الإخلاصِ لكان هو المدارَ في نزولِ الآية، بيدَ أنَّ فِعلَ عليّ (ع) كان هو الباعثَ الوجوديَّ لاستنزالِ هذا الوحي، مما جَعلهُ المقياسَ الأسمى لهذه الصفة الإيمانية.يستعرضُ هذا المبحثُ جُملةً من الصفات التي أوردَها الآلوسيُّ في حقّ العترة الطاهرة، ضمنَ مَقامِ الاشتراكِ مع الآخرين في الوصفِ العام، ومعَ وفرةِ هذهِ الموارِدِ وتعدُّدِ تجلّياتِها، سنقتصرُ على ذِكرِ قَبسٍ من تلكَ الشواهدِ التي تُجلّي مَكانتَهم السّامية.**في رحابِ التفسيرِ والبيانِ لقولِهِ تعالى: ﴿أَ فَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾**[٦٦] يُفصّلُ الآلوسيُّ في الآراءِ الواردةِ حَوْلَ مِصداقِ هذهِ الموازنةِ الإلهية؛ حيثُ نُقلَ عن مجاهد –عبرَ ابن جريح– أنها نزلت في مقامِ الرسولِ الأكرمِ (ص) وأبي جهل، وفي روايةٍ أخرى في حمزة بن عبد المطلب. كما أوردَ القولَ بأنَّ الآيةَ نزلت في شأنِ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومُقابلِهِ أبي جهل، وهو رأيٌ مَعزوٌّ إلى محمد بن كعب والسُّدّي[٦٧]، مما يَكشفُ عن عِظمِ صفات العترة في الفوزِ بالوعدِ الإلهيّ الحسنِ واليقينِ بما عند الله.**في رحاب قوله تعالى: ﴿أَ فَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ...﴾**[٦٨].يستجلي الآلوسي الدلالاتِ العميقةَ لهذه الآية الكريمة، مبيناً أنَّها نزلت في شأن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وحمزة (رض) من جهة، وفي حق أبي لهب وابنه من جهة أخرى. فكان من أسمى صفات العترة ومنهجها أنْ بَسَط اللهُ صدورهم بمشارق الأنوار الإلهية واليقين الإسلامي، بينما كان مآلُ الآخرين القسوةَ والظُّلمة، فكانوا مِصداقاً لـ (القاسية قلوبهم)[٦٩]. إنَّ هذا الانشراح القلبي والاستضاءة بالنور الرباني يُعدّان من الصفات الجوهرية التي تفرَّدت بها تلك الذوات الطاهرة في مسيرة الهدى والنور.

المساءلة الأخروية ومركزية ولاية العترة: قراءة في آية "مسؤولون"

يُقدّم الآلوسي في مباحثه التفسيرية لقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٧٠] رؤيةً تحليليةً تنطلقُ مما رُوِي عن أبي سعيد الخدري في أنَّ جوهر السؤال ينصبُّ على ولاية عليّ (عليه السلام). ومع ميله إلى أنَّ المنهج الأتم في التأويل يقتضي شمول السؤال لعموم العقائد والأعمال– وفي طليعتها كلمة التوحيد– إلا أنه ينصُّ على أنَّ ولاية الإمام عليّ (كرم الله وجهه) تُمثّل أحد أهم أركان هذه المساءلة، مما يُبرز المكانة المحورية لصفات العترة الطاهرة في ميزان الحساب الإلهي[٧١].وقد تضافرت المصادر الحديثية والتفسيرية على تأكيد هذا المعنى، مشيرةً إلى أنَّ المساءلة عن الولاية أمرٌ مَحتومٌ، وهو ما يعكس الرتبة الوجودية والمعرفية لصفات أركان العترة في المنظومة العقدية الإسلامية[٧٢].**في رحاب قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾**[٧٣].في مقاربةٍ تحليليةٍ لهذه الآية الكرية، يُوردُ الآلوسيُّ– بعد استعراضِ

أقوالٍ مُتعددة– ما نَقلهُ ابنُ عساكر عن ابنِ عباس، مُبيناً أنَّ مصداقَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يتجسَّدُ في شخصيَّاتٍ بارزةٍ من العترة الطاهرةِ ومن سابقي الإيمانِ، كمثلِ عليّ بنِ أبي طالب (عليه السلام) وحمزةَ، وعبيدِ بنِ الحارث. وفي المُقابلِ، يُحدِّدُ رموزَ الفسادِ والتَّجبُّرِ بمصاديقَ كعُقبةَ بنِ أبي معيط، والوليدِ بنِ عُقبة، وشيبةَ بنِ ربيعة، وهم الذينَ تواجَهوا في غزوةِ بدرٍ الكبرى[٧٤]، مما يُبرزُ التباينَ الجوهريَّ في الصفات والسَّجايا بينَ المؤمنينَ الصادقينَ والمُفسدينَ في الأرض.**وفي رحاب قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُم سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**[٧٥].يُوردُ الآلوسيُّ– مُستنداً إلى روايةٍ عن الكلبي– أنَّ عُتبةَ بنَ ربيعة، وشيبةَ بنَ ربيعة، والوليدَ بنَ عُقبة، قد واجهوا عليّ بنَ أبي طالب (عليه السلام) والمؤمنين، مُصرحينَ بألّا قيمةَ لهم وأنَّ عقيدتَهم واهية. بل زعموا أنَّ مصيرَهم في الآخرةِ سيكونُ أفضلَ من مصيرِ المؤمنين، كما هو حالُهم الأفضلُ في الدنيا. وعلى ضوءِ هذا التصورِ المُغالط، نزلت الآيةُ الكريمةُ لِتُفنِّدَ هذا الحكمَ المُنحرفَ وتُبيِّنَ الفرقَ الجوهريَّ بينَ أهلِ الإيمانِ والعملِ الصالحِ ومُجترحي السيئات[٧٦].**وفي سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ.﴾**[٧٧].يتناول الآلوسيّ هذه الآية الكريمة مُستحضِراً تفسيراتٍ مُختلفةً تُوضِّحُ سياقَ نزولِها. ففي "البحر المحيط" يذكر أنَّ الآيةَ نزلت عندما مرَّ عليّ بنُ أبي طالب (عليه السلام) ومعهُ جماعةٌ من المؤمنينَ ببعضِ كفارِ مكَّةَ، فضحكَ هؤلاءِ الكفار وسخروا منهم. وقد نزلت الآيةُ الكريمةُ لِتُفنِّدَ هذا السلوك.ومن زاويةٍ أخرى، يُشيرُ الآلوسيُّ في "الكشافِ" إلى أنَّ الحكايةَ في الآيةِ تتعلَّقُ بالمنافقينَ الذينَ وصفوا الإمامَ عليّاً (عليه السلام) بـ "الأصلع" (أي من انحسرَ شَعرُ مقدمةِ رأسه) مُستخدِمينَ ذلكَ للسخريةِ والاستهزاءِ به[٧٨]، مما دفعَ الوحيَ الإلهيَّ لِنزولِ هذهِ الآيةِ لِتُبيِّنَ عاقبةَ المجرمينَ الذينَ يسخرونَ من أهلِ الإيمانِ. وهذا الموقفُ يُظهِرُ جانباً من الصفات السلبيةِ للمُنافقينَ والمُجرمينَ، في مُقابلِ ثباتِ العترة وأتباعِها على الحقِّ.**في رحابِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**[٧٩].يُفصِّلُ الآلوسيُّ في معنى "الَّذِينَ" المذكورينَ كمستثنينَ من الخُسران، ويرى أنَّ المقصودَ بـ "الَّذِينَ" لا يقتصرُ على شخصَي عليّ بنِ أبي طالب (عليه السلام) وسلمانَ الفارسيّ (رضوانُ الله عليه) فحسب، بل يشملُ كلَّ مَنْ اتَّصفَ بالصفات المذكورةِ في جملةِ الصِّلةِ: الإيمانُ، والعملُ الصالح، والتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر. ويُستنَدُ في هذا التفسيرِ إلى روايةٍ عن ابنِ عباس، حيثُ يُفهمُ من ذكرِ هذينِ المثالينِ البارزينِ أنَّهما يدخلانِ في عمومِ هذهِ الصفات بـ "الأولويةِ" القطعيةِ، مما يُشيرُ إلى مكانتِهما الرفيعةِ والمُبكِّرةِ في هذهِ المناقب[٨٠]. (يُنظر: الآلوسي، ١٤١٥ق: ٣٠/٢٢).**في سياقِ التأمُّلِ في سورةِ الكوثرِ المباركةِ، وقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾**[٨١].يُشيرُ الآلوسيُّ إلى أحدِ التفسيراتِ العميقةِ لمعنى "الكوثر".يُوضِّحُ الآلوسيُّ أنَّ "الكوثر" قد أُريدَ بهِ نسلُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وذريّتُهُ الطاهرةُ من العترة. ويستندُ هذا التفسيرُ إلى أنَّ السورةَ الكريمةَ نزلت ردّاً على مَنْ كانَ يُعيبُ على النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) انقطاعِ نسلهِ من الذكور. ويمتدحُ الآلوسيُّ النعمةَ الإلهيةَ قائلاً: "سبحانَ اللهِ، لقد تكاثرَ هؤلاءِ الأبناءُ والبناتُ من العترة حتى ملأوا الأرضَ". ويُشيرُ في تفسيرِهِ استناداً إلى تفسير البيضاوي، إلى أنَّ هذهِ الكثرةَ والانتشارَ لهذهِ السلالةِ الطاهرةِ يُعدّانِ من أبرزِ صفاتِ هذهِ المنحةِ الربانيةِ، التي جاءت تأكيداً لنبوةِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وردّاً على المُشكِّكين[٨٢].

الخاتمة والنتائج

نخلص في ختام هذا الاستقراء العلمي لصفات العترة الطاهرة في تفسير "روح المعاني" للعلامة الآلوسي، إلى أنَّ الحقيقة القرآنيّة لأهل البيت (عليهم السلام) هي حقيقةٌ ساطعةٌ فرضت نُورها على مدونات المفسرين بمختلف مشاربهم ومذاهبهم. فلقد كشف البحث أنَّ مادة "روح المعاني"– على ما عُرف عن صاحبها من نزوعٍ مذهبيٍّ خاص– قد حفلت بإقراراتٍ جليّة تضع العترة الزكية في مَقام القدوة والريادة الإيمانية.إنَّ الاستنتاج المحوري لهذا البحث يتبدى في كون صِفات العترة لم تكن مجرد عوارض أخلاقية، بل هي "مقامات اصطفائية" صاغها الوحي الإلهي؛ فبين صِفاتٍ اختصوا بها كالفداء ليلة المبيت والسبق في الإنفاق والنجوى، وبين صِفاتٍ اشتركوا فيها مع المؤمنين فكانوا هُم "المصداق الأتم" وأرقى مراتب التحقق بها، تتجلى صورة أهل البيت كقرناء للكتاب لا يفترقون عنه. لقد أثبتت الدراسة أنَّ عِلم عليّ (عليه السلام) بـ "علم الكتاب" وكونه "الأذن الواعية" للرسالة، ليس مجرد منقبةٍ تاريخية، بل هو مرجعيةٌ معرفيةٌ أصلت لدور العترة في حفظ بيضة الإسلام وتبيان دلالات التنزيل.وإننا إذ نضع هذه الخاتمة، نوقنُ بأنَّ ما أورده الآلوسي في "روح المعاني" يُعدُّ حُجةً بالغةً في إثبات أنَّ مودة أهل البيت وصِفاتهم هي الميزان الذي تتمايز به القلوب، وأنَّ الكوثر النبوي الذي أشار إليه في تفسيره سيظل فيّاضاً بالعلم والبركة، ممتداً في ذريته الطاهرة إلى يوم الدين. فكان هذا البحثُ إضاءةً على تلازم المسار بين الوحي الصامت (القرآن) والوحي الناطق (العترة)، إقراراً بالفضل، وإنصافاً للحقيقة، وتجديداً للعهد مع أركان الهدى ومصابيح الدجى. وإليك أبرز النتائج:

١. مركزية العترة في الخطاب القرآني:

يخلص البحث إلى أنَّ العترة الطاهرة تُمثّل مِحوراً جوهرياً في التنزيل الحكيم؛ إذ لم تقتصر الإشاراتُ إليهم على آياتٍ عابرة، بل شكلت صفاتهم ومواقفهم التاريخية بواعث لنزول مادةٍ غزيرة من الوحي، مما يؤكد أنَّ الوجود الوجودي والمعرفي لأهل البيت (عليهم السلام) جزءٌ لا يتجزأ من بنية النص القرآني.

٢. التفرد في موازين الطاعة (قضية آية النجوى)أثبت البحثُ عِلمياً تفرُّد أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفة "الاستجابة المطلقة" للتكليف الإلهي، كما في آية النجوى؛ حيث كشف هذا المورد عن مرتبةٍ من الإخلاص والزهد لم يشركه فيها أحد من الصحابة، مما يجعله المِعيار الأتم للامتثال الطوعي وتقديم القربات.

٣. العترة كمرجعية معرفية "للكتاب":يُظهر البحثُ أنَّ صفة "علم الكتاب" الثابتة لعلي (عليه السلام) باعتراف الآلوسي وغيره، تُوصّل لمقام العترة كخزانةٍ للوعي الإلهي. فاقتران اسم الإمام بوصف ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ يرفع رتبتهم من مجرد رواة إلى "مُحيطين" بحقائق التنزيل وأسراره.

٤. التضحية الوجودية كأعلى تجليات العبودية:تُعدُّ واقعة ليلة المبيت– في ضوء تفسير الآلوسي– برهاناً قطيعاً على أنَّ صفة "الفداء" لدى العترة ليست مجرد شجاعةٍ عسكرية، بل هي مقام "بيع النفس لله" ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، وهو مقامٌ يدمج بين الأخلاق العملية والشهود اليقيني.

٥. مِعيار الأفضلية في الصلاح والجهاد:أكدت النتائج من خلال آية "سقاية الحاج" أنَّ المنهج القرآني يرفض المساواة الصورية بين الأعمال؛ حيث رجّح صفات الإيمان والجهاد والسبق التي تفرّد بها الإمام علي (عليه السلام) على أعمالٍ شريفة أخرى كعمارة البيت والسقاية، مما يُرسخ قاعدة "تفاضل الدرجات" بناءً على عمق الولاء.

٦. الإيثار المعجز والكرامة الربانية:تُبيّن قصة الزهراء (عليها السلام) في آية الرزق أنَّ صفات العترة الأخلاقية (كالإيثار في حالة الجوع) ليست أخلاقاً بشرية مجردة، بل هي "أخلاقٌ مؤيدة بالمدد الغيبي"، حيث استدعى صدقُ إيثارهم نزول المائدة السماوية، مما يربط بين السلوك الإنساني والفيض الإلهي.

٧. العترة هم "المصداق الأتم" في آيات الاشتراك:يُقرر البحثُ قاعدةً تفسيرية هامة؛ وهي أنه حتى في الآيات التي تتناول صفاتٍ عامة (كالإيمان، والعمل الصالح، والانشراح للحق)، تظلُّ العترةُ الطاهرة هي "المصداق الأتم" والأكمل. فهم المقياس الذي تُقاس عليه درجات كمال الآخرين في تلك الصفات.

٨. الارتباط العضوي بين الطمأنينة القلبية والولاية:يستخلص البحث أن "ذكر الله" الذي يحقق طمأنينة القلوب ليس مجرد ترديد لساني، بل هو منظومة إيمانية متكاملة تشمل محبة الله ورسوله وموالاة العترة الطاهرة. فبناءً على تفسير الآلوسي، لا يتصور انفصام العروة بين السكينة الروحية والارتباط بمنهج أهل البيت، مما يجعل الولاية ركناً في تحقيق الاستقرار الإيماني.

٩. المسؤولية الأخروية ومركزية الولاية في الحساب:تُشير النتائج المستقاة من آية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ إلى أن ولاية العترة ليست شأناً هامشياً، بل هي ركن محوري في "المساءلة الأخروية". فبرغم شمول السؤال للعقائد كافة، إلا أن تخصيص السؤال عن ولاية عليّ (عليه السلام) يمنحها رتبة "الميزان" الذي تُعرض عليه صحة العقائد والأعمال يوم القيامة.

١٠. الكوثر كبرهان على الاستمرار الوجودي والبركة:يخلص البحث في خاتمته إلى أن وصف "الكوثر" الممنوح للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجد مصداقه الواقعي والأتم في "العترة الطاهرة". فهذا النسل المبارك لم يكن مجرد امتداد جيني، بل هو تجلٍ للكثرة والبركة الإلهية التي ملأت الأرض علماً وصلاحاً، ليكون رداً إلهياً خالداً على كل من توهم انقطاع أثر النبوة بوفاة صاحبها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط١، بلا تاريخ.

٢. ابن المغازلي، علي بن محمد، المناقب، الطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٩٤هـ.

٣. ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر غفاري، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٩٥هـ.

٤. ابن بابويه، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، مكتب النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسي، قم، ط١، ١٤٠٣هـ.

٥. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة– مصر، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٦. ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف فيضي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، ط٢، ١٣٨٥هـ.

٧. ابن شاذان القمي، أبو الفضل شاذان بن جبرئيل، الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، مكتبة الأمين، قم، ط١، ١٤٢٣هـ.
٨. ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام) مؤسسة نشانه، قم، ط١، ١٣٧٩هـ.
٩. ابن طاووس، أحمد بن موسى، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، تحقيق: عليّ العدناني الغريفي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١١هـ.
١٠. ابن عقدة الكوفي، أحمد بن محمد، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، دليل ما، قم، ط١، ١٤٢٤هـ.
١١. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
١٢. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة بني هاشم، تبريز، ط١، ١٣٨١هـ.
١٣. الإسترابادي، عليّ، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تحقيق: حسين استاد ولي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٤. الآلوسي، السيد محمود شكري، المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، طبعة الدار العربية للموسوعات، بيروت، بلا تاريخ.
١٥. الآلوسي، خير الدين نعمان بن محمود، جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
١٦. الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٧. الإمام العسكري، الحسن بن علي (عليه السلام)، الإمام الحادي عشر، التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ق، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٨. الأندلسي الغرناطي، أبو حيّان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد باز، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٩. البحراني، هاشم بن سليمان، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١، ١٤١١هـ.
٢٠. البحيري، ريم عبد الفتاح مصطفى، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند المفسرين – دراسة في تفسيري الرازي والألوسي، رسالة: ماجستير في الآداب تخصص الدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنوفية.
٢١. البخاري، عبد الله، جهود أبي الثناء الآلوسي في الرد على الرافضة، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، بدون تاريخ.
٢٢. البروسوي، حقي إسماعيل، روح البيان، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط٧، ١٤٠٥هـ.
٢٣. البيضاوي، ناصر الدين أبي السعيد عبد الله بن عمر بن محمد، تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٤. البيطار، عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
٢٥. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ.
٢٦. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٢٧. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٢٨. الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، المحقق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤١١هـ.
٢٩. الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ق، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٠. الديلمي، أبو شجاع شيرويه، الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
٣١. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، بلا تاريخ.
٣٢. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٣٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٤. الشامي، يوسف بن حاتم، مؤسسة المدرسين (جامعة مدرسين) قم، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٥. الطبري الآملي الصغير، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣هـ.

٣٦. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ، ص٦١٥. وابن حمزة الطوسي، محمد بن علي، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان، قم، ط٣، ١٤١٩هـ.
٣٧. العاملي النباطي، علي بن محمد، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق: ميخائيل رمضان، المكتبة الحيدرية، النجف، ط١، ١٣٨٤هـ.
٣٨. العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، إسماعيليان، قم، ط٤، ١٤١٥هـ.
٣٩. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) تحقيق: حسين الدرگاهي، وزارة الإرشاد، طهران، ط١، ١٤١١هـ.
٤٠. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، طهران، ط١، ١٣٨٠هـ
٤١. الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، تفسير الصافي، تحقيق: حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط٢، ١٤١٥هـ.
٤٢. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ.
٤٣. القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذو القربى، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، بلا تاريخ.
٤٤. الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، تحقيق: عبد الله نعمة، دار الذخائر، قم، ١٤١٠هـ.
٤٥. المجلسي، محمد باقر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٤٦. المغراوي، محمد، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، بدون تاريخ.

هوامش البحث

[١] ابن فارس، أحمد معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ج٤، ص٢١٧.

[٢] نفسه.

[٣] نفسه

[٤] نفسه.

[٥] نفسه.

[٦] لو عبّر بالتشعّب لكان أنسب للمعنى، لأن التشعب هو التفرق من أصل واحد، أما التفرق المطلق فلا يعطي هذا المعنى الدقيق.

[٧] أبو عيسى محمد بن عيسى، الترمذي، سنن الترمذي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ، ج٦، ص٣٣٧، ح٤١٢٢.

[٨] البيطار، عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، س١٦.

[٩] الآلوسي، خير الدين نعمان بن محمود، جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ص٦٤.

[١٠] انظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، بلا تاريخ، ج١، ص٢٥٠.

[١١] انظر: البخاري، عبد الله، جهود أبي الثناء الآلوسي في الرد على الرافضة، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، بدون تاريخ، ص٩١.

[١٢] انظر: التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٥١. مصدر سابق. وانظر: الآلوسي، السيد محمود شكري، المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، طبعة الدار العربية للموسوعات، بيروت، بلا تاريخ، ص١٤٧.

[١٣] البحيري، يم عبد الفتاح مصطفى، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند المفسرين – دراسة في تفسيري الرازي والألوسي، رسالة: ماجستير في الآداب تخصص الدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنوفية، ص١١٩.

[١٤] حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج٢، ص١٢٥. مصدر سابق.

[١٥] تنظر: روح المعاني، ج١، ص٥.

[١٦] انظر: التفسير والمفسرون، ج١، ص٣٠٣. مصدر سابق.

[١٧] نفسه، ج١، ص٢٥٢، ٢٥٣.

[١٨] المغراوي، محمد، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، بدون تاريخ، ص١٢٩٢.

[١٩] الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج١، ص٤٩٢.

[٢٠] انظر: الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، المحقق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤١١هـ، ج١، ص١٢٣. وانظر: المجلسي، محمد باقر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ج٣٦، ص٤٠.

[٢١] ابن أبي الحديد، عبد الحميد هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط١، بلا تاريخ، ج١٣، ص٢٦٢.

[٢٢] الأنفال: ٣٠.

[٢٣] انظر: روح المعاني، ج٥، ص١٨٤ وما بعدها. وانظر: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، ج٣، ص٥.

[٢٤] البقرة: ٢٧٤.

[٢٥] روح المعاني، ج٢، ص٤٦.

[٢٦] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج٧، ص٣٧٣.

[٢٧] ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة– مصر، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ج٥، ص٣٣.

[٢٨] انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ج١، ص٣١٩.

[٢٩] آل عمران: ٣٧.

[٣٠] انظر: روح المعاني، ج٣، ص١٤١. مصدر سابق. وانظر: العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، طهران، ط١، ١٣٨٠هـ، ج١، ص١٧٢. وانظر: الطبري الآملي الصغير، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣هـ، ص١٤٥. وانظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ، ص٦١٥. وانظر: ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان، قم، ط٣، ١٤١٩هـ، ص١٩٦.

[٣١] التوبة: ١٩.

[٣٢] انظر: روح المعاني، ج١٠، ص٦٧.

[٣٣] انظر: الكشف والبيان، تفسير الآيات ١٩، ٢٠، من سورة التوبة. مصدر سابق. وانظر: أبو حيّان، الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد باز، القاهرة، ١٩٩٩م، ج٣، ص١٧.

[٣٤] الرعد: ٢٨.

[٣٥] انظر: روح المعاني، ج١٣، ص١٧٤. مصدر سابق.

[٣٦] الرعد: ٤٣.

[٣٧] روح المعاني، ج١٦، ص٢٨٥٤. مصدر سابق.

[٣٨] انظر: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذو القربى، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، بلا تاريخ، ج١، ص٣٠٨. وانظر: ابن المغازلي، علي بن محمد، المناقب، الطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٩٤هـ، ح٣٦١.

[٣٩] طه: ١٣٢.

[٤٠] انظر: روح المعاني، ج١٨، ص٨٤. مصدر سابق. وانظر: القمي، علي بن إبراهي، تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص١٠٤.وانظر: ابن عقدة الكوفي، أحمد بن محمد، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، دليل ما، قم، ط١، ١٤٢٤هـ، ص١٩٩. وانظر: ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر غفاري، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٩٥هـ، ج١، ص٢١٨.

[٤١] الأحزاب: ٢٣.

[٤٢] انظر: روح المعاني، ج٢١، ص١٧٢. وانظر: ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف فيضي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، ط٢، ١٣٨٥هـ، ج٢، ص٣٥٤.

[٤٣] الزمر: ٣٣.

[٤٤] انظر: روح المعاني، ج٣، ص٢٤. مصدر سابق.

[٤٥] ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام) مؤسسة نشانه، قم، ط١، ١٣٧٩هـ، ج٣، ص٩٢. وينظر أيضاً: الإسترابادي، عليّ، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تحقيق: حسين استاد ولي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ، ص٥٠٥.

[٤٦] الرحمن: ١٩- ٢٢.

[٤٧] روح المعاني، ج١٤، ص١٠٦. مصدر سابق.

[٤٨] الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة بني هاشم، تبريز، ط١، ١٣٨١هـ، ج١، ص٣٢٤.

[٤٩] الشامي، يوسف بن حاتم، مؤسسة المدرسين (جامعة مدرسين) قم، ط١، ١٤٢٠هـ، ص٧٦٣.

[٥٠] العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) تحقيق: حسين الدرگاهي، وزارة الإرشاد، طهران، ط١، ١٤١١هـ، ص٤٠١.

[٥١] الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، تفسير الصافي، تحقيق: حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط٢، ١٤١٥هـ، ج٥، ص١٠٩.

[٥٢] البحراني، هاشم بن سليمان، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١، ١٤١١هـ، ج٤، ص١٣٥.

[٥٣] العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، إسماعيليان، قم، ط٤، ١٤١٥هـ، ج٥، ص١٩١.

[٥٤] الواقعة: ١٠، ١١.

[٥٥] ينظر: روح المعاني، ج٢٧، ص١٣٢. مصدر سابق. والمناقب لابن المغازلي، ج١، ص٢٦٥. مصدر سابق. والديلمي، أبو شجاع شيرويه، الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص٥٨١.

[٥٦] المجادلة: ١٢.

[٥٧] انظر: روح المعاني، مصدر سابق، ج٢٨، ص٣١. وانظر: البحر المحيط، ج٥، ص٢٨٠. مصدر سابق. والبيضاوي، ناصر الدين أبي السعيد عبد الله بن عمر بن محمد، تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٥، ص٤٣.

[٥٨] التحريم: ٤.

[٥٩] انظر: روح النعاني، ج٢٨، ص١٥٢.

[٦٠] الأنبياء: ٧٢.

[٦١] الشعراء: ٨٣.

[٦٢] انظر: البروسوي، حقي إسماعيل، روح البيان، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط٧، ١٤٠٥هـ، ج١٠، ص٥٣.

[٦٣] الحاقة: ١٢.

[٦٤] انظر: روح المعاني، ج٢٨، ص٤٣. وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج٨، ص٢٦٧.

[٦٥] البقرة: ٢٧٤.

[٦٦] القصص: ٦١.

[٦٧] ينظر: روح المعاني، ج٢٠، ص١٩٩.

[٦٨] الزمر: ٢٢.

[٦٩] انظر: روح المعاني، ج٢٢، ص٢٥٨. وانظر: العاملي النباطي، علي بن محمد، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق: ميخائيل رمضان، المكتبة الحيدرية، النجف، ط١، ١٣٨٤، ج٢، ص٧٤.

[٧٠] الصافات: ٢٤.

[٧١] انظر: روح المعاني، ج٢٣، ص٨٠.

[٧٢] انظر: الإمام العسكري، الحسن بن علي (عليه السلام)، الإمام الحادي عشر، التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ق، ط١، ١٤٠٩هـ، ص٤٠٥. والحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ق، ط١، ١٤١٣هـ، ص٧. وابن بابويه، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، مكتب النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسي، قم، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٦٧. وانظر: ابن شاذان القمي، أبو الفضل شاذان بن جبرئيل، الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، مكتبة الأمين، قم، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٦٥. وانظر: ابن طاووس، أحمد بن موسى، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، تحقيق: عليّ العدناني الغريفي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١١هـ، ص١٤٦. وغيرها مما لا مجال لذكرها لكثرتها.

[٧٣] ص: ٢٨.

[٧٤] انظر: روح المعاني، ج٢٣، ص١٨٩.

[٧٥] الجاثية: ٢١.

[٧٦] انظر: روح المعاني، ج٣٥، ص١٥١. وانظر: الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، تحقيق: عبد الله نعمة، دار الذخائر، قم، ١٤١٠هـ، ج١، ص٩٠.

[٧٧] المطففين: ٢٩.

[٧٨] انظر: روح المعاني، ج١٥، ص٢٨٤.

[٧٩] العصر: ٢، ٣.

[٨٠] انظر: روح المعاني، ج٣٠، ص٢٢.

[٨١] الكوثر: ١.

[٨٢] انظر: روح المعاني، ج٣٠، ص٢٢٤.